

أضواء البيان

@ 307 قوله تعالى : { جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِـدَآذَانِهِمْ وَاسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا } . بين تعالى الغرض من جعل الأصابع في الآذان لعدم السماع ، كما في قوله تعالى : { وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْءَانِ } وإصرارهم واستكبارهم إنما هو عن اتباع ما دعاهم إليه نوح عليه السلام . .

كما قالوا : { وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بُرَادِي الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ } ، وقريب منه قوله تعالى : { كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ } . قوله تعالى : { فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا } . رتب إرسال السماء عليهم مدراراً على استغفارهم ، وهذا يدل على أن الاستغفار والتوبة والعمل الصالح قد يكون سبباً في تيسير الرزق . .
وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى ذلك في الحديث : (من أراد أن ينسأ له في عمره ويوسع له في رزقه فليصل رحمه) . .

وقد تكلم الشيخ رحمة الله تعالى علينا وعليه على هذه المسألة في سورة هود عند قوله تعالى : { وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا } . .

كما دلت الآية الأخرى في هذه السورة على أن المعصية سبب للهلاك في قوله : { مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا } . قوله تعالى : { وَوَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ أَطْوَارًا } . هي المبينة في قوله تعالى : { وَوَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فَرَى قَرَارٍ مَّكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَاقَةً فَوَخَلَقْنَا الْعَلَاقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِطَآمًا فَكَسَوْنَا الْعِطَآمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا ءَاخِرًا فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ } . .
وهذا مروى معناه عن ابن عباس . قاله ابن كثير والقرطبي . .

وقيل أطواراً : شباباً وشيوخاً وضعفاء . .
وقيل أطواراً : أي أنواعاً صحيحاً وسقيماً وبصيراً وضريراً وغنياً وفقيراً . .